قصة تميم الداري
وأسرة المحاسني الدمشقية

خطاب
الدكتور عدنان الخطيب
الأمين العام لمجمع اللغة العربية

سيداتي ، سادتي :

حديثي إليكم الليلة مهمّش ... أو محشّى ... وكلمة مهمّش مولّدة استعملها باجازة مجمع اللغة العربية بالقاهرة وهي مولّدة بالاشتقاق من كلمة هامش المحدثة التي لم تجد العربية غنىً عنها .

فالحديث ذو هوامش وهوامشة كثيرةٌ وبالغةُ الأهميةِ تشير الى اختلافات الروايات وتغني عن اي سؤال أو استفهام أو بحث عن المصدر ، غير أن ضيقَ الوقتِ يلجئني إلى عدمِ الاشارةِ إليها وسيقرؤها من تهمه .

وابدأ حديثي عن :

١
صحابي جليل

تميمُ بنُ أوس الداريّ ، من أجلاء الصحابة ، وفدَ على النبي صلى اللهُ عليهِ وسلم ، قُبيلَ هجرتهِ من مكةَ[1] ، حاملاً من الهدايا أغلاها ثمناً ،

(☆) في حفل استقبال الدكتور مروان المحاسني .

(١) اغفل كثير من المؤرخين وفود تميم إلى مكة ، مما أدى إلى اضراب في تحديد سنة اعلان إسلامه ، وسنفصل التعليق على هذه النقطة فيما سيلي من البحث .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقبلَ النبيُّ عليهِ السلامُ منها : الأفراسَ والقَباءَ[٢] المخوّصَ بالذهبِ[٣] ورفضَ راويةً من عتيقِ الخمر .

ولحقَ تميمٌ وصحبُه النبيَّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إلى يثرب[٤] وأقام تميم فيها حتى مقتل الخليفة عثمانَ رضي الله عنه ، فغادرها إلى موطنِ عشيرتِه في فلسطينَ من بلادِ الشام ، حيث عاشَ بقيةَ حياتِه في قريةٍ بجوارِ بيتِ المقدس[٥] .

---

(٢) القباء في المعجم العربي بفتح القاف : ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق عليه .

(٣) في المعجم الوسيط : يقال خوّص التاج إذا زيّنه بصفائح الذهب على قدر الخوص . والخوص: ورق النخل .

وفي مختصر ابن منظور لتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : إن النبي عليه السلام أعطى العباس بن عبد المطلب القباء . فقال : ماأصنع به ؟ قال : تنزع الذهب فتحلّيه نساءك أو تستنفقه ، ثم تبيع الديباج فتأخذ ثمنه . فباعه العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف درهم . انظر ج ٥ ص ٣١٢ مطبوعات دار الفكر دمشق ١٩٨٤ .

(٤) أكثر المحدّثين والمؤرخين وأغلب من ترجم لتميم اثبتوا أن وفوده وصحبه على رسول الله ﷺ كان في السنة التاسعة بعد هجرته إلى يثرب ، غير أن سيرة تميم على ما اثبتها جمهور العلماء ، كما أن مروياته عن النبي عليه السلام والنص على اشتراكه في غزواته تؤيد ما نقله ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق عن أبي هند الداريّ أنه قال : قدمنا على رسول الله ﷺ بمكة ... إلى أن قال : فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة قدمنا عليه .. وفي رأينا أن خطأ العلماء مبعثه جملة (في السنة التاسعة) فقد توهموا أنها للهجرة وحقيقتها أنها للبعثة .

انظر ص ٤٦٥ من المجلدة العاشرة مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق سنة ١٩٦٣ .

(٥) المرجح لدينا أن يكون تميم قد سكن في بلدة عينون ، بسبب ورود اسمها كثيراً في الروايات المثبتة في كتب الحديث والتاريخ منسوبة إلى تميم .

قال ياقوت : عينون من قرى بيت المقدس . انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٢٥٨ القاهرة ....

وقال ابن الأثير (ت ٦٣٠) عينون ... وهي إلى الآن قرية مشهورة ، انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة رقم ٥١٥ المجلد ١ ص ٢٥٦ القاهرة ١٩٧٠ .

=

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

غزا تميمٌ مع رسولِ اللهِ ﷺ[٦] ، كما روى عنهُ بضعةَ عشرَ حديثاً كلُّها من الصحاح[٧] ، ومن اشهرِ ماروى قولُه عليهِ الصلاةُ والسلام : إنّ الدينَ النصيحةُ (وكررها ثلاثاً) قالوا لمنْ يا رسولَ الله ؟ قال : لله عزّوجلّ ولكتابِه ولنبيهِ ولأئمةِ المسلمينَ وعامتهم .

وكان تميم أولَ من أسرجَ السراجَ في المسجدِ[٨] ، كما كان أولَ من قصّ في الإسلام بإذن من الخليفةِ عمر[٩] .

لقد حظيت سيرةُ هذا الصحابيِّ الجليلِ باهتمامٍ كبيرٍ من قبل المؤرخينَ وأصحابِ التراجمِ المسلمين ، كما كانت للمستشرقين ، على اختلافِ

= ويؤيد ترجيحنا ماذكره العسقلاني (ت ٨٥٢) في ترجمة تميم إذ قال : ... انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان وسكن فلسطين وكان النبي ﷺ اقطعه بها قرية عينون .. روي ذلك من طرق كثيرة .. وقال ابن حبان : مات بالشام وقبره ببيت جبرين .. انظر ص ١٨٣ ج ١ من كتاب الاصابة في تمييز الصحابة مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨ .

قال ياقوت : بيت جبرين لغة في جبريل : بليدة بين بيت المقدس وغزة . انظر ج ٢ ص ٣٢١ من معجم البلدان .

(٦) في الاصابة للعسقلاني : قال ابن اسحاق : قدم المدينة وغزا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .. انظر ص ١٨٤ من المرجع السابق ذكره .

(٧) اورد ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق مختلف الطرق التي روى هذا الحديث بها . انظر ص ٤٤٧ ومابعدها من المجلدة العاشرة السابق التنويه بها .

(٨) أوردت هذه العبارة أكثر المصادر التي ترجمت لتميم وسبقت الاشارة اليها في الهوامش المتقدمة .

(٩) نقل ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق عن حميد بن عبد الرحمن : أن تميما الداريّ لما استأذن عمر بالقصّ قال له عمر : ماتقول ؟ قال : اقرأ عليهم القرآن وآمرهم بالخير وأنهاهم عن الشرّ ، فأذن له عمر . انظر ص ٤٨٠ من المجلدة العاشرة السابق الاشارة إليها .

وجاء في مختصر ابن منظور لتاريخ دمشق : أذن له عمر بالقصّ يوما واحداً في الأسبوع ، فلما ولي عثمان استزاده فزاده يوماً آخر . انظر ص ٣٢٢ من المرجع السابق ذكره .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نزعاتِهم ، بحوثٌ عديدةٌ حوله[١٠] ، مما أدى إلى شيءٍ من الضلالِ في ترجمتهِ ، وبخاصةٍ في الموسوعاتِ الحديثة[١١] .

وقديما ألّف المؤرخ أحمد بن علي المقريزي[١٢] كتاباً سمّاهُ « ضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري[☆] » فما هو الخبرُ الصحيحُ ياترى ؟

اليكم الخبر الأقرب إلى الصحة ، على مانراه ، ممهداً له بنبذة عن بلاد الشام يومَ كانت ولاية رومانية .

٢

بلاد الشام يوم كانت ولاية رومانية

يحدثنا التاريخُ عن بلادِ الشام ، يومَ كانت ولاية رومانية ، أنّها كانت **تتفوقُ على جميع الولايات الأخرى ، في صناعاتها ورخائها** ، وذلك بفضل موقعها الجغرافيّ أولا ، وبنشاط ابنائها وحبِّهم اتقانَ مايصنعون ثانياً ، كما أنّ تجارها فُطِروا على جانب عظيم من الذكاء

(١٠) انظر الاشارة إلى هذه البحوث في دائرة المعارف الإسلامية مادة « تميم » اعداد إبراهيم زكي خورشيد وزميليه القاهرة دار الشعب .

(١١) انظر مثلا الموسوعة العربية الميسرة وهي معرّبة اخرجتها مؤسسة فرانكلن (القاهرة ١٩٥٩) باشراف شفيق غربال فقد ترجمت لتميم بايجاز مستوحى مما دسّه بعض المستشرقين في سيرته وهو من عيوب عديدة شابت هذه الموسوعة .

حتى أن القاموس الإسلامي مؤلّف أحمد عطية الله ذكر ترجمة لتميم ردد فيها شيئا من المدسوس عليها . مج ١ ص ٤٩٨ القاهرة ١٩٦٣ .

(١٢) انظر ترجمته ومصنفاته في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ٢ ص ١٠ دمشق ١٩٥٧ .

(☆) انظر ترجمة تميم ومصادرها في أعلام الزركلي ط ٥ ص ٨٧ بيروت ١٩٨٠ .

ومن الغريب أن كتاب المقريزي المشار إليه لم يرد في تعداد ماكان صنفه في معجم المؤلفين الملمع إليه في الهامش السابق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والحيوية ، فكانت سفنُهم تمخرُ عبابَ البحار إلى أقاصي المعمورة ، كما كان أعوانُهم يجوبون مختلفَ البلاد المأهولة ، مما جعل شعبَها على حظٍ عظيمٍ من الغنى ، يعيشُ حياةً رخيّةً رافهةً قوامُها البذلُ والسخاء ، مما لانظيرَ له في غيرِها من الولايات[١٣] .

وكانت لسكانِ بلادِ الشامِ يومئذٍ ، علاقاتٌ تجارية قويةٌ مع عربِ الحجاز ، إذ كانت قبائلُ عربية عديدة تسكنُ هذه البلادَ وتشاركُ الرومَ في حكمِها ، وأشهرُ تلك القبائل غسان في جنوبِ البلاد ، وتنوخ في شمالِها وتغلب في الشرق .

وكانت القبائل المذكورة دانت بالنصرانيةِ تاركة عبادة الأصنامِ والأوثان ، مما جعل الروابط بينها وبين الروم البيزنطيين ، وقد دانوا بالنصرانيةِ أيضاً . روابطَ متينةً ، فكانوا يؤدونَ لامرائِهم وشيوخِهم الرواتبَ المجزيَة ليقفوا في وجهِ قبائلِ البادية في الجنوب ، وجيوش الفرس في الشرق ، وذلك حماية لآسية الصغرى وفيها (القسطنطينية) عاصمة ملكهم الواسع[١٤] .

٣

خبر تميم بالترتيب المعقول مستخلصاً من المدون المنقول

كان تميم بن أوس الداريّ كبير أسرة تشكل بطناً من بطون قبيلة لخم

---

(١٣) انظر وول ديورانت في قصة الحضارة ترجمة محمد بدران ج ٣ مج ٣ « قيصر والمسيح » ص ١٢٢ ـ ١٢٦ القاهرة ١٩٥٥ .

(١٤) انظر محمد كرد علي في خطط الشام ج ١ ص ٦٩ ط ٢ بيروت ١٩٦٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اليمنية[١٥] . دانت بالنصرانية ، وكانت ممن سكن قرى فلسطين من بلاد الشام[١٦] .

---

(١٥) لخم واسمه مالك بن عديّ بن الحارث من كهلان من قحطان : جدّ جاهلي هاجر بنوه من اليمن ، بعد سيل العرم في القرن الثالث للميلاد أو قبله ، واستقر بعضهم في الحيرة فأنشأوا بها دولة (المناذرة) .. وكانت لبقاياهم دولة في أشبيلية وهم (آل عبّاد) وكان بمصر قوم منهم ، وتفرّق بعضهم في بلاد الشام .. كما قصد فريق منهم فلسطين ونزلوا بجوار بيت المقدس .

انظر كتب التاريخ ومادة (لخم) في أعلام الزركلي .

(١٦) قال ابن تغري بردي : لخم : قبيلة من العرب ، قدموا من اليمن إلى بيت المقدس ، ونزلوا بالمكان الذي ولد فيه عيسى عليه السلام .. والعامة تسميه بيت لحم بالحاء المهملة وصوابه (بيت لخم) بالخاء المعجمة . (انظر النجوم الزاهرة ج ٤ : ٥٩ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٣) .

وجاء في قاموس الكتاب المقدس : أن بيت لحم اسم عبري معناه (بيت الخبز) وهي قرية صغيرة ولد فيها المخلص حسب النبوات (ط ٢ بيروت ١٩٧١) وبانتشار هذا الادعاء بعبرية الاسم عمد البعض إلى القول بمنعه من الصرف ، بينما نوّنها ياقوت في معجم البلدان ناقلا عن مكي بن عبد السلام الرميلي قوله : رأيت بخط مشرف بن مرجّا : بيت لخم بالخاء المعجمة . وسمعت جماعة يروونه من شيوخنا بالحاء المهملة ، وقد بلغني أن الجميع صحيح جائز .

والقول المذكور آنفا يؤيد ما أورده الزركلي في مادة (لخم) ـ انظر الهامش السابق ـ مما يثبت أن بيت لحم ماهي إلا ديار لخم . كان يسكنها بعض بطونها ومنهم أسرة تميم الداري ، ويدعم هذا ماجاء في مستدرك تاج العروس قال : بيت لحم قرية يقال بها ولد المسيح ورواه بعض البغداديين بالخاء المعجمة ومن العجيب أن الأستاذ الجليل محمد عبد المنعم الخفاجي في الطبعة الأولى من شفاء الغليل للشهاب الخفاجي سنة ١٩٥٢ اثبت في الصفحة ٧٥ ما يلي :

(بيت المقدس) : ويقال بيت معرب ، قاله ياقوت أيضاً .

ثم ذكر في هامش الصفحة تعليقا على جملة (بيت المقدس) مانصه : في الأصل بياض واكملناه نحن . ولست أشك أبداً في أن الأصل كان (بيت لخم) لان عبارة الشهاب تستوجبها أما حشر جملة (بيت المقدس) فقد افسدت التعريف ! على أن من افضال الخفاجي النص على أن الاسم (مُعْرَب) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان تميم يتعاطى التجارةَ ، يجوبُ أقصى البحار ويجتازُ أوسع القفار[١٧] ، وقد ظهرت له اجتيابه الأرض والبحر ارهاصاتٌ تبشرُ بظهور دين سماويٍّ جديد ، كما سمع أخبار مبعث النبيّ محمدٍ ﷺ[١٨] .

قصدَ تميم وعدد من آله وأعوانه مكةَ[١٩] وقصّ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، مادفعَه إلى الدخول في الدين الذي يدعو إليه ، فسُرَّ النبيُّ عليه الصلاة والسلام من حديثه ، فقام إلى منبره وأعلن عما حدثه به تميم

---

(١٧) الأخبار عن تعاطي تميم التجارة في البرّ والبحر متواترة ، وقد جاء في تاريخ ابن عساكر لمدينة دمشق عن نافع عن ابن عمر ان تميم الداريّ سأل عمر بن الخطاب عن ركوب البحر ، وكان عظيم التجارة في البحر ، فأمره بتقصير الصلاة . انظر ص ٤٨٢ من المجلدة العاشرة المنوه بها سابقاً .

(١٨) تكاد المصادر الحديثية والتاريخية وكتب التراجم تجمع على أن الداريين وفدوا على النبي عليه الصلاة والسلام يتقدمهم تميم ، على أن خلافا وقع في عددهم فاكدت بعض المصادر أن عددهم كان عشرة واكتفت مصادر أخرى بذكر ستة أسماء فحسب . على أن ابن منظور في مختصره لابن عساكر عدد اسماء العشرة (انظر ص ٣١٢) المصدر السابق ذكره .

(١٩) سبق أن ذكرنا في الهامش رقم ١ أن كثيراً من المؤرخين اغفل ذكر وفود تميم إلى مكة ، ليس هذا فحسب ، بل كادوا يجمعون على أن الوفود كان إلى المدينة بعد الهجرة ، غير أنهم أختلفوا في تحديد السنة ، فقال بعضهم : في السنة السابعة للهجرة (ابن هشام) وقال أغلبهم : في السنة التاسعة (ابن سعد نقلا عن الواقدي وابن الكلبي) .

وتعددت الروايات التي تقول بأن الوفود كان إلى مكة قبل الهجرة ، مما نرجح معه أن يكون ذلك قد تم في السنة السابعة أو التاسعة للبعثة لا للهجرة كما سبق ان المحنا إليه في هامش سابق .

وكان ابن عساكر ذكر في تاريخ مدينة دمشق رواية أبي هند الداري بأنهم وفدوا إلى مكة وأن النبي ﷺ قال للداريين : انصرفوا حتى تسمعوا بي قد هاجرت . قال أبو هند فانصرفنا فلما هاجر إلى المدينة قدمنا عليه .. (٤٦٦ ـ ٤٦٧ من المجلدة العاشرة . وعلى هذه الرواية اعتمد القلقشندي في صبح الأعشى المطبعة الأميرية القاهرة ١٩١٨ (ج ٣ ص ١١٨ ـ ١٢٢) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأنه اعتنق الإسلام[٢٠] . قال تميم : يارسولَ الله ، إنّ الله ، مظهرك على الأرض ، كلّها ، فهبْ لي قريتي من بيت لحم ، قال : هي لك[٢١] . قال تميمٌ : يارسولَ اللهِ : إنّ لي جيرةً من الروم بفلسطين لهم قرية يقالُ لها حبرا[٢٢] ، وأخرى يقال لها بيتَ عَيْنُون[٢٣] ، فإن فتح اللهُ عليكَ الشام فهبها لي فقال هما لك . قال تميمٌ : فاكتبْ لي بذلكَ كتاباً ، فكتب[٢٤] ﷺ .

---

(٢٠) يعرف حديث تميم بحديث (الجسّاسة) وقد رواه مسلم في صحيحه كما رواه أحمد وغيرهما ، وهو يتصل بظهور (المسيح الدجال) .

(٢١) نقل هذا الحديث ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق عن عكرمة انظر ص ٤٦٨ من المجلدة العاشرة الملمع إليها سابقا .

وعن ابن عساكر في المصدر المذكور نقل القلقشندي الخبر على مااشرنا إليه في هامش سابق .

وازن مختلف المرويات وخاصة مانقله القاسم بن سلام في الأموال المطبعة السلفية القاهرة ١٣٥٣ هـ . وما اثبته القاضي ابو يوسف في الخراج المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٦ هـ .

(٢٢) بهذا الرسم ورد اسم القرية في كتب الحديث ، وقال ياقوت في معجم البلدان (مادة حبرون) يقال لها أيضاً حبرى وهي القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل وقد غلب على اسمها (الخليل) انظر معجم البلدان المرجع السابق ذكره . وقد ورد رسمها في مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر حبرى بفتح الحاء وفي شرح القاموس : وتروى بكسر الحاء (انظر ص ٣١٣ من مختصر ابن منظور المرجع السابق ذكره .

(٢٣) عينون بالفتح من قرى بيت المقدس كما أورد ذلك ياقوت في معجم البلدان (٤ / ٢٥٨) .

(٢٤) هكذا ورد الخبر في ص ٣١٣ من مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر ، أما نسخة ماكتبه الرسول ﷺ فمختلف عليها ، وقد وردت في روايات عديدة تختلف في صيغتها وألفاظها . واعتمد القلقشندي في صبح الاعشى الرواية التي اثبتها ابن عساكر كما بينا في الهامش رقم (١٩) ثم قال : وهذه الرقعة .. موجودة بايدي التميميين خدام الحرم الشريف الى الآن (ت ٨٢١) .. وقد اخبرني برؤيتها غير واحد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولما هاجرَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم لحقَ به تميمٌ إلى يثربَ وأقام فيها[٢٥] .

ولما ولي عمرُ الخلافةَ جاءهُ تميمٌ بكتابِ النبيِ صلى اللهُ عليه وسلمَ فقال عمر : أنا شاهدُ ذلك[٢٦] .

وقال تميم بعدئذٍ : فجعلَ عمرُ ثلثَها لابنِ السبيلِ وثلثَها لعمارتِها وتركَ لنا ثلثاً[٢٧] .

فلما كان مقتلُ الخليفةِ عثمان رضي اللهُ عنه ترك تميمٌ المدينة[٢٨] ، وقفلَ راجعاً إلى موطنهِ وموطنِ عشيرته في فلسطين من بلاد الشام[٢٩] .

واشتهر تميمٌ على غناهُ ووفرةِ المالِ لديه[٣٠] ، بالتقوى وكثرةِ التهجُّد[٣١] ، كما عُرفَ عنهُ الدوامُ على قراءةِ القرآن[٣٢] . حتى استحق لقبَ

---

(٢٥) اقامة تميم في المدينة مجمع عليها في جميع المصادر انظر ص ٣١٢ من مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر لمدينة دمشق .

(٢٦) ذكر هذا ابن عساكر في تاريخه لمدينة دمشق (انظر ص ٤٦٨ من المجلدة العاشرة السابق الاشارة إليها) .

(٢٧) اورد هذا ابن عساكر في تاريخه لمدينة دمشق بعدة روايات انظر ص ٤٦٩ من المجلدة العاشرة الملمع اليها آنفاً .

(٢٨) ترك تميم المدينة عقب مقتل عثمان مجمع عليه في جميع المصادر التي اوردت ذكره .

(٢٩) لم يرد في المصادر التاريخية اسم البلدة التي عاش تميم فيها بقية حياته . على أننا نرجح أن تكون بيت عينون ، انظر هامش رقم (٣٦) .

(٣٠) تكاد تجمع أكثر المصادر التاريخ الإسلامية على أن تميما كان تاجراً واسع التجارة . وجاء في تاريخ مدينة دمشق عن ابن عمر : إن تميما كان عظيم التجارة في البحر .. انظر ص ٤٨٢ من مجلدة ابن عساكر العاشرة .

(٣١) هذا الوصف ورد في اغلب المصنفات التي ترجمت لتميم . وجاء في أُسد الغابة : إن تميما قام ليلة حتى أصبح يتلو آية من القرآن ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ... الجاثية =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« راهبُ أهلِ عصرِه وعابدُ فلسطين[٣٣] » .

وكان على تقواه يقتني أفخرَ الثيابِ بلبسِها إذا ماتعبد الله عزّوجلّ[٣٤]

---

٢١ ﴾ وهو يركع ويسجد ويبكي . انظر ص ٢٥٦ من المرجع السابق ذكره .

(٣٣) جاء في تاريخ مدينة دمشق عن أبيّ بن كعب أنه كان يختم القرآن في ثمان ليال وكان تميم الداريّ يختمه في سبع . انظر ص ٤٧٠ من مجلدة ابن عساكر العاشرة . وفي ص ٤٧٦ من المصدر نفسه إن خارجة بن مصعب سمع يقول : ختم القرآن في الكعبة أربعة من الأئمة : عثمان بن عفان وتميم الداريّ وسعيد بن جبير وأبو حنيفة . كما في ٤٧٢ من المصدر المذكور رواية عن محمد بن سيرين أنه قال : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان وتميم الداريّ .

(٣٣) ذكر هذه العبارة ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) نقلا عن أبي نعيم : وفي المعجم : ترهّب الرجل إذا صار راهبا يخشى الله ، كما تطلق كلمة راهب على الواحد من رهبان النصارى انظر ص ١٨٣ ـ ١٨٤ من الاصابة في تمييز الصحابة مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨ .

وجاء في تهذيب الاسماء واللغات للنووي (ت ٦٧٦) ويقال لتميم (الداري والديري فالداري منسوب إلى جده الدار .. والديري نسبة إلى دير كان يتعبد فيه قبل الإسلام ..) ونقل هذه العبارة المستشرق الايطالي ليفي دلا فيدا) (انظر عقيقي وجدول مؤلفاته) في مادة (تميم) في دائرة المعارف الإسلامية على الشكل التالي : (يقول النووي في كتابه تهذيب الاسماء : إن نسبة تميم هي الديري ، ويقال إنها نسبة إلى الدير الذي كان راهبا فيه قبل أن يدخل في الإسلام) توصلا إلى أن يقول : (وكان تميم نصرانيا كغالب عرب الشام فاستطاع أن يخبر النبي بتفاصيل العبادات التي استعارها من النصارى ومنها استعمال السراج في المسجد ...) وذكر مصدر هذه الفرية وقد تصدى للرد عليها أحمد محمد شاكر انظر ص ٤٨١ من دائرة المعارف الإسلامية ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وزملائه مطابع الشعب القاهرة . وانظر أيضاً صفحة ١٣٨ من القسم الأول من تهذيب الاسماء واللغات المطبعة المنيرية القاهرة .

(٣٤) قال ابن الأثير في ترجمته لتميم : وكان له هيئة ولباس انظر ص ٢٥٧ من أسد الغابة المرجع السابق ذكره .

وفي تاريخ ابن عساكر لمدينة دمشق عن أنس أن تميما اشترى رداءً بألف درهم وكان يصلي بأصحابه فيه . وعن محمد بن سيرين : أن تميما اشترى حلة بألف درهم فكان يقوم فيها بالليل إلى الصلاة انظر ص ٤٧٩ من المجلدة العاشرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مع حرصِهِ الشديد على التمسكِ بالسنة النبويةِ والآداب المحمديّة[٣٥] .

وعاشَ تميمٌ بقيةَ حياتِه مجاوراً بيت المقدس في فلسطين[٣٦] ، وفيها مات[٣٧] .

٤

حفدَةٌ لتميم يتخذون دمشق موطنا

كانت بلادُ الشام ، قبل تجزئةِ لمستعمرين الأوربيين لها ، رقعةً واحدة يتنقل ابناؤها من بلدٍ إلى بلدٍ أحراراً متى شاؤوا ، ويقطنون حيث يطيب لهم العيش ، هذا فضلاً عن الحوادث أو الكوارث التي كانت تلجئ أفردا منهم أو جماعات إلى سكنى بلدة دون أخرى ، في مثل الحروب الصليبية المتتالية ، أو الفتن الداخلية العمياء .

---

(٣٥) زار رَوْح بن زِنباع تميما في بيته فوجده ينقّي شعيراً لفرسه ، وحوله أهله ، فقال له رَوْح : أما كان في هؤلاء من يكفيك ؟ قال : بلى ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من امرئ مسلم ينقّي لفرسه شعيراً ثم يعلّقه عليه إلا كتب الله له بكل حبة حسنة .

انظر أُسد الغابة المرجع السابق ذكره ص ٢٥٦ وفيه أن الحديث أخرجه الثلاثة . وانظر الإصابة المرجع الملمع إليه آنفاً ص ١٨٣ ج ١ .

(٣٦) نرجح أن يكون تميم قد سكن بيت عينون لكثرة ورود اسمها في مختلف الروايات . وبخاصة ما اثبته ابن حجر العسقلاني فقد روي أن تميما انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان وسكن فلسطين وكان النبي ﷺ اقطعه بها قرية عينون رُوي ذلك من طرق كثيرة .

انظر ص ١٨٣ ج ١ من كتاب الاصابة السابق ذكره .

(٣٧) جاء في المصدر الآنف الذكر عن ابن حبان أنه قال عن (تميم) : مات بالشام وقبره ببيت جبرين من بلاد فلسطين .

قال ياقوت في معجم البلدان : بيت جبرين : لغة في جبريل بليد بين بيت المقدس وغزة وبينه وبين القدس مرحلتان وبين غزة أقل من ذلك . وقد نسب إليها من ذكرناه في مادة جبرين (٢ - ٣٢١) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكانت دمشق تستقبل الوافدين عليها بما عرف عنها من رحابةِ صدرٍ ، وحبٍ للغرباء وتكريمٍ للضيوف ، وكان القرن السادس الهجري عهداً من عهود الحروب المضطرمة ، فكَثُر الوافدون على دمشق من فلسطين لاتخاذها موطنا ، فعرفت دمشق لأصحاب الفضل من هؤلاء فضلهم ، وقدّرت للعلماء منهم علمهم ، وبوّأت كلاً المكانةَ التي تليقُ به .

واشتهرَ في دمشق من ابناء الوافدينِ عليها محاسنُ الشرابيشيّ التميمي[٣٨] ، ثم ظهرَ بين ابنائِه وأحفادِه نبغاءُ في علومِ الشريعةِ وفي الشعرِ وفنونِ الأدبِ المختلفة ، فإذا بهم يحتلونَ مناصب علميةً رفيعةً كما يَحظَونَ بتقديرِ الناسِ واحترامِهم[٣٩] .

---

(٣٨) انظر ص ٨٣٩ من منتخبات التواريخ للحصني لمدينة دمشق ، وكان قد ذكر في ص ٦٠٦ أن نسبة بني محاسن هذا إلى بني تميم الداريّ في القدس قد أيدها كل من المحبيّ والمراديّ في تراجمها لكثير من أكابر رجال هذه الأسرة الكريمة وهي قديمة العهد في دمشق وقد انجبت رجالا متشرعين وأفاضل محترمين .

(٣٩) قال الحصني أيضا في ص ٨٤٠ من منتخباته : إن أسرة بني المحاسني من مشاهير الأسر القديمة في الفضل والعلم ، خدم رجالها الشريعة الغراء في الأعصر السالفة إلى عصرنا هذا وإنهم تولوا افتاء دمشق وخطبة جامعها ... وإن لهم تآليف ودواوين شعر منها (كناش المحاسني) جد والد اسماعيل بن تاج الدين وكان المذكور سبط الشيخ حسن البوريني المؤرخ الشهير .

وتاج الدين الآنف الذكر مترجم له في خلاصة الأثر ، قال المحبيّ : تاج الدين بن أحمد المعروف بابن محاسن الدمشقي المولد والدار ، الأديب الألمعي ، كان أحد أعيان التجار المياسير وكان مع ثروته لاينفك عن المذاكرة ، وقرأ في مبدأ أمره كثيراً وحصّل ورحل إلى مصر والحجاز للتجارة ، وكان له وجاهة تامة بين ابناء نوعه ورزق الحظ العظيم . وكان ينظم الشعر وله شعر مطبوع غير متكلف فنه ما قاله بالقاهرة متشوقا إلى دمشق :

منذ فارقت جلقا ورباها ... لم تذق مقلتي لذيذ كراها
فسقى الله ربعها كل غيث ... وحمى الله أهلها وحماها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكانت شهرتُهم عندَ الناسِ بيتَ محاسن[٤٠] .

وقد امتدحَهمُ مَفتي الشافعيةِ بدمشق الشاعر الغزي[٤١] بقوله البديع :

إذا افتخرَ الأنـامُ بـأرض شـامٍ وعـدّوا دورَهـا ثمّ المسـاكن
أقـولُ مفـاخراً قـولاً بـديعـاً محاسنُ شامِنا (بيتُ المحاسن)

كما امتدحهم مفتي الشام الحمزاوي[٤٢] بشعر حسن ، غير أن ديوانه مازال مخطوطا[٤٣] .

وأنا شخصياً عرفتُ العديدَ من أعلامِ أسرةِ المحاسنيّ الكريمة[٤٤] وقد

---

(٤٠) لقد نازعت هذه الشهرة الكلمة المنسوبة إليها ، وهي واردة في كتب التاريخ بلفظ آل محاسن والمحاسني كما أنها معتمدة في السجلات الرسمية ، على أن الشهرة القديمة ترددت في كتب التراجم كثيراً ومازالت تطرق الاسماع أحيانا إلى يومنا هذا .

(٤١) هو محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري . له ترجمة وافية في ص ٥٣ ج ٤ من كتاب سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي طبعة بولاق ١٣٠١ مصورة مكتبة المثنى في بغداد .

(٤٢) هو محمود بن نسيب حمزة . مترجم في ص ١٤٦٧ ج ٣ من حلية البشر للبيطار من مطبوعات مجمع دمشق ١٩٦٣ .

(٤٣) هذا ماذكره الحصني في منتخباته اما عن الديوان المخطوط فقد بلغني من بعض حفدة المفتي أنه كان أهدي إلى مكتبة الشيخ حسن حبنكة الميداني بدمشق .

(٤٤) كان الحصني صاحب المنتخبات عدّد في ص ٨٣٩ من كتابه المتأخرين من أعلام هذه الأسرة ، ولايفوتني هنا ذكر واحد من ألمع شعراء دمشق النابهين وهو فقيد الأدب العربي الدكتور محمد زكي المحاسني العضو المراسل لمجمع اللغة العربية في القاهرة .

كان الدكتور محمد زكي بن شكري المحاسني أديباً لوذعيا واسع الاطلاع على الأدب العربي وتاريخه ، كما كان شاعراً عبقريا متين العبارة فصيح الألفاظ ذا باع طويل في شعر الأخوانيات ، تشعر وأنت تقرأه بصفاء سريرته وجزيل مودته ، وكان الشعر طبيعة فيه يواتيه ويرتجله بسرعة غريبة مضمنا له الدافع إليه أو المناسبة الباعثة عليه .

ولد الشاعر زكي المحاسني بدمشق سنة ١٩٠٩ م ، وظهر نبوغه وهو طالب في الدراسة الثانوية ، وكان من الأوائل في امتحانات البكالوريا فكرّمه مع رفاق له الأستاذ محمد كرد علي =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سَعدتُ بزاملةِ واحدٍ من كبار رجالاتِها ، هو القاضي الكبير والاداريُّ الحازمُ المغفورُ له الأستاذُ أحمدُ فؤاد ، وقد شرُفت في شبابي بتولي بعضِ المناصبِ العاليةِ التي كانَ يتولاها بجدارةٍ مشهودٍ له بها[٤٥] .

إن الأستاذَ الكبيرَ أحمَد فؤاد المحاسني ، هو والدُ زميلِنا المجمعي العتيد الدكتور محمد مروان ، الذي اتشرفُ بتقديمه إليكم في هذه الأمسية بعد أن حازَ ثقةَ أعضاء مجمعِ اللغةِ العربيةِ فانتخبوه زميلاً لهم ، وصدَر المرسومُ الجمهوريّ باعتمادِ ذلك الانتخاب[٤٦] .

= رئيس المجمع العلمي سنة ١٩٢٦ م . درس الحقوق والآداب بتفوق ملحوظ ، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة بتقدير جيد جداً سنة ١٩٤٧ م ، وتعاطى المحاماة مدة ثم قام بتدريس العربية في ثانويات مختلفة ثم في كلية الآداب . له بضعة عشر مؤلفاً . عشق دمشق وتغزل بها مشيدا بمحاسنها ولمامات بتاريخ ٢٣ من آذار سنة ١٩٧٢ ضم ثراها رفاته وهو القائل فيها :

فـــأن يغترب جسمي فروحي مـــدوم على قـومي الخُمس الأبـــاة الضيـــاغم
كأني على « قسيـــون » أرنـــو لمنبتي وأرسـل في الآفـــاق لهفـــة هـــائم

(انظر ترجمة وافية له ذاتية بقلمه وبقلم أعلام من أصدقائه في كتاب تحية وذكرى وقد اشرفت على اخراجه زوجته الوفيه الأديبة العربية الكبيرة السيدة وداد السكاكيني دمشق ١٩٧٣) .

(٤٥) السيد أحمد فؤاد ابن قاضي دمشق السيد محمد خير المحاسني ولد بدمشق سنة ١٩٠٢ م وتخرج في معهد الحقوق العربي فيها . زاول مهنة المحاماة مدة أربع سنوات ثم انتسب إلى هيئة القضاء السوري عام ١٩٢٦ ، وتدرج في مناصبه إلى أن تولى القضاء في محكمة التمييز (النقض حالياً) ثم نقل أميناً عاماً في رياسة الجمهورية . وفي مطلع عام ١٩٤٨ نقل أميناً عاماً لوزارة الداخلية وأحيل على التقاعد سنة ١٩٤٩ ثم اختير محافظا لجبل الدروز (السويداء) سنة ١٩٥١ وأحيل بعدها على التقاعد وتوفي بدمشق بتاريخ ٦ من اذار سنة ١٩٧٦ وفيها دفن .

(٤٦) انتخب الزميل الكريم في جلسة المجمع المنعقدة بتاريخ ٤ من حزيران سنة ١٩٧٩ واعتمد انتخابه بالمرسوم الجمهوري ذي الرقم ٣٠١٦ المؤرخ في ١٢ من كانون الأول سنة ١٩٧٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥

الدكتور محمد مروان المحاسني

إن آلَ المحاسنيّ بدمشق من أعرقِ البيوتاتِ فيها ، إذ استوطَنها جدُّها الأعلى منذُ القرنِ السادسِ الهجري[٤٧] ، وفي بيتٍ من بيوتِها في حيّ « القنوات[٤٨] » ، رزقَتْ بغلام سمّاه أبوهُ « محمداً » واتبَعَ هذا الاسمَ بكلمةِ مروان ، وبهذا الاسم اشتهرَ الغلام ، ومروانُ اسم دمشقيٌّ أصيل منذ فازَ صاحبهُ بالجابية[٤٩] ، بلقبِ « أمير المؤمنين » .

---

(٤٧) هذا على أصح الأقوال ، غير أن لزميلنا الكبير عيسى إسكندر المعلوف رأيا قديما فيه غرابة وفيه دعوى لاسند تاريخي لها ، نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي (مج ٤ ج ١٢ ص ٥٥٦ تاريخ ١ / ١٢ / ١٩٢٤) وهو يعرف بديوان الشيخ سليمان المحاسني ، إذ قال : أصل أسرة المحاسني من بيت المقدس ، من بني تميم ، ولها نسبة علوية نبوية (!) رحل جدّها إلى دمشق عند فتحها (!) ، واشتهر من ابنائه محاسن الشرابيشي التميمي الحنفي وذلك في أثناء القرن السادس للهجرة ، فنسبت الأسرة إليه وعرفت باسم (بني محاسن) و (المحاسني) ونبغ منها علماء وأدباء وقضاة ترجمهم مؤلفو كتب التراجم والأنساب وأثنوا عليهم فجمعتُ ذلك من مخطوطات كثيرة وفصلته في كتابي (تاريخ الأسر الشرقية) المطول !

(٤٨) حيّ من أعرق وأقدم أحياء دمشق يقع خارج سورها إلى جهة الغرب ، يحمل اسم قنوات المياه التي تتخلله وتحمل الماء من أحد فروع نهر بردى ويحمل الاسم نفسه ، وتتوزع المياه من تلك القنوات على دور الحيّ وحماماته ومساجده وبساتينه . انظر ص ٢٩ من كتاب دمشق لصفوح خير دمشق ١٩٦٩ .

(٤٩) موضع بالشام على مسيرة يوم إلى الجنوب الغربي من دمشق بين حوران والجولان ، كانت فيه منازل غسان وفيه أقام ملوكهم من آل جفنة ، قال حميد بن ثور الهلالي :

أنتم بجابية الملوك وأهلنا ... بالجوف جيرتنا صداء وحمير

ويقال له : جابية الجولان ، قال حسان بن ثابت :

إنّ خالي خطيب جابية الجو ... لان عند النعمان حين يقوم

وورد ذكر الجابية في حديث معاذ بن جبل « تنزلون منزلا يقال له الجابية » وفي الجابية =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

درج مروانُ على أرضِ دمشق ، واستنشق أريجَها العَطيرَ الفوّاح ، وتنقل بين خمائلها السندسيةِ الزاهية ، وتمتعَ بروعةِ أزهارِها الفاتنة ، فكان كأترابِه من عشاقِ دمشق ، ولو تناءت بهم الديار ، ومهما كرّتْ عليهم الأيام .

فلما بلغتْ بمروانَ السنُّ التي تؤهلُه لتلقي العلم ، دفعَ بهِ أبوهُ إلى « مدرسة الإخْوَةِ المريميين بدمشق[٥٠] » . وفي هذه المدرسة أتم تحصيلَه الثانويَّ وهو يتقنُ الفرنسيةَ كأكبرِ مثقفٍ فِرنسِيِّ اللغةِ .

ودرسَ مروانُ الطبَّ في كلية الطبِّ من جامعة دمشق[٥١] ، حتى إذا ماتخرج فيها يحملُ لقبَ « دكتور » استجابَ إلى واجبِه الوطنيِّ فأدى خدمةَ العلم برتبةِ ملازمٍ أول[٥٢] فلما أنهاها أوفدتْهُ الجامعةُ إلى باريس للتخصصِ في طِبِّهِ لمدةِ ثلاثِ سنوات[٥٣] ، وقد أمضى منها مدةَ ستةِ اشهرٍ يعملُ في مشفى بريستول البريطاني[٥٤] .

عسكر المسلمون عند الفتح ثم جعلوها جنداً ، ونزل بها عمر بن الخطاب ليتم فتح بيت المقدس صلحاً ، وفيها بويع مروان بن الحكم بالخلافة وفيها ثبتت الخلافة في عقبه . انظر كتب التاريخ والموسوعات المختلفة والمعجم الكبير وقال ياقوت في معجم البلدان : الجابية من أعمال دمشق من ناحية الجولان إذا وقف الإنسان في قرية الصنمين واستقبل الشمال ظهرت له وتظهر من قرية نوى أيضاً .

(٥٠) كان اسم هذه المدرسة قبل نيل سورية استقلالها « الفرير الماريست » وفي هذه المدرسة درس زميلنا العتيد وحصل على شهادة التحصيل الابتدائي سنة ١٩٣٧ وفيها تخرج يحمل شهادة البكالوريا .

(٥١) كانت الجامعة انذاك تحمل اسم (الجامعة السورية) .

(٥٢) كان ذلك خلال عامي ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ .

(٥٣) تم الايفاد بمنحة من الحكومة الفرنسية للتخصص في مستشفى لايك في باريس .

(٥٤) مستشفى فرنشاي في مدينة بريستول في انكلترا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعاد الدكتورُ مروان إلى دمشقَ يحملُ شهادةَ اختصاصٍ بالجراحةِ العامةِ وجراحةِ الصدرِ بالتخصيص[٥٥] ، فتلقفَتْه الجامعةُ وعينتْهُ مدرساً للجراحةِ في كليةِ الطبّ ، حتى إذا مامرت عليه سنواتٌ معدودة في التدريس ، قامتْ الجامعةُ بايفادهِ مجدداً إلى انكلترا لمدةِ سنةٍ للتخصصِ في جراحةِ القلبِ والأوعية[٥٦] .

وسبقَ للدكتور مروان أن انتسبَ إلى كلية الآداب طالباً ، فلما أنهى الدراسةَ فيها حملَ منها اجازة الآداب من قسم اللغةِ الفرنسية[٥٧] .

ولم تلبثْ الجامعةُ إلاّ قليلاً حتى عادت وأوفدت الزميلَ العتيدَ إلى باريس كرةً أُخرى للحصولِ على الشهادةِ التي تؤهلُ الأطباءَ المتخصصين للتدريسِ بالجامعات[٥٨] .

ودخلَ الدكتور مروان ملاكَ الهيئةِ التدريسيةِ في كليةِ الطبّ بجامعةِ دمشق ، وأخذَ يتدرجُ في المناصبِ المتعاليةِ التي نصّ عليها القانون ، إلى أن وصلَ درجةَ أستاذٍ ذي كرسي في الجراحة[٥٩] ، وتابع مسيرةَ التدريسِ في هذا المنصبِ إلى أنْ تولى رياسةَ قسمِ الجراحةِ بأسره[٦٠] .

وعندما عرضت عليه جامعةُ الملكِ عبدِ العزيز منصبَ أستاذِ الجراحةِ

---

(٥٥) كان ذلك سنة ١٩٥٥ .

(٥٦) وذلك كان سنة ١٩٥٨ .

(٥٧) وكان ذلك في سنة ١٩٥٨ أيضاً .

(٥٨) وذلك كان في سنة ١٩٦١ للحصول على شهادة Maîtere ès Sciences Médicales .

(٥٩) كان ذلك في سنة ١٩٦٩ .

(٦٠) وكان ذلك خلال الأعوام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في كلية الطبِ التحقَ بهذا المنصبِ فتولاه[٦١] إلى أنْ انتخبَ رئيساً لقسمِ الجراحةِ في كلية طبٍّ مدينةِ جُدَّة[٦٢] . حيثُ يقومَ بأعباء التدريسِ الجامعيِّ إلى يومِنا هذا .

سادتي :

قدمتُ لكم صوراً خاطفةً عن الجذورِ التاريخيةِ العميقةِ المرجُّح كونُها المُنبتَ الطيبَ ، الذي نشأتْ فيه الأسرةُ المحاسنيةُ السامقةُ فروعُها ، الوارفةُ ظلالُها ، الأسرةُ التي ينتسبُ إليها محمد مروان . ونحنُ الليلةَ نحتفلُ بانضمامِ غصنٍ من أنضرِ غصونِ هذه الأسرةِ إلى روضتنا الباسقِ اسمُها ، الماجدِ تاريخُها الرفيعِ مقامُها الدوحةِ العربيةِ المفاخرِ بها على قريناتِها العربيات ، فهي أكبرُهُنّ سناً ، وأقدمُهنّ قياما بخدمة الفصحى أمِّ اللغى ، وموئلِ الأمةِ العربيةِ إلى وَحْدةِ كلمتِها واتحاد شعوبِها .

٦

مواهب الزميل العتيد

أيها السادة :

حفلُنَا هذه الأمسية ، احتفاءً بانضمامِ الزميلِ الفاضل الأستاذ الدكتور محمد مروان المحاسني إلى مجمع اللغة العربية عضواً عاملاً يَشدُّ به ، أزرَ أخوانِه العاملين في خدمة لغة الذكرِ الحكيم ، لتواكبَ الحضارةَ العالميةَ وتلاحقَ المستجدَ من مصطلحات علومِها الحديثةِ فتضعَ له المقابلَ المتفقَ

(٦١) أنهى الدكتور مروان عمله في جامعة دمشق مستقيلا بنهاية عام ١٩٧٩ وباشر عمله في جامعة الملك عبد العزيز في أول عام ١٩٨٠ .

(٦٢) شغل هذا المنصب خلال الأعوام ١٩٨٤ ـ ١٩٨٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والقواعدَ العربيةِ ، الواضحَ في دلالتِه ، السهلَ في النطقِ بهِ ، لتغدوَ للعرب لغة علمية سليمة ودقيقة . ولكن ما الذي أهّلَ هذا المجمعيَّ الجديدَ لتولي هذا المنصب الرفيع ؟

لقد عُرفَ زميلُنا الكريمُ بولعِه الشديدِ في التقصي اللغوي وقد حباه اللهُ عزَّوجلَ موهبةً فذّةً في اتقان اللغات ، فهوَ مع اتقانه الفرنسيةَ والانكليزيةَ اتقانَ كبارِ العلماء من ابنائها ، يتكلمُ ويلمُّ بلغاتٍ عديدةٍ أُخرى ، كما أنّ له بحوثاً طبيةً راقيةً في علمِ الجراحةِ نشرتْها له مجلاتٌ طبيةٌ فرنسيةٌ معروفة(٦٣) .

ومن أطرفِ ما يمكنُ أنْ أحدثَكُم بهِ عنِ الوَلعِ الذي وصفتُهُ آنفاً ، حديثُ الجهودِ التي بذلَها الزميلُ في بحثٍ نشره على الناس ، جرى فيه وراءَ هوايتهِ في التنقيبِ والمتابعة ، أكثرَ مما بذلَ من جَهْدٍ في مراجعةِ المصادرِ العربيةِ المفيدةِ في مثل بحثِه اللطيف ، لا بلْ أكثرَ مما بذلَهُ من جَهْدٍ في تتبعِ المصادرِ الأخرى التي تناولتْ بعضَ أطرافِ بحثِه أو شيئاً من أشباهِها .

إنَّ كتابَ الزميلِ الذي أصدرتْهُ دارُ العروبةِ في بيروت ، منذُ بضعةَ عشرَ عاماً عُنْوِنَ له : « الكلماتُ الايطاليةُ في لغتِنا العاميةِ ـ دراسةٌ تاريخيةٌ لغوية » . ومهّدَ الزميلُ لكتابه بقولِه : « قد يتساءلُ المرءُ بين حينٍ وآخرَ ، ماهوَ مصدرُ هذهِ الكلماتِ ، وكيفَ أصبحتْ متداولةً على ألسنةِ العامة ؟ »

(٦٣) نشرت تلك المجلات الفرنسية التالية :

La Reiru de chirurgie

Le Povruon et le Coeur

Journal Medical du Moyen orient

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فإنْ كانَ الزميلُ المحترم ، يرغبُ الاجابةَ على التساؤلِ الذي طرحَهُ إثرَ سماعِه بائعاً يصرخ : (على أونا - على دوه) أو لدى سماعِه سائحاً يقول : ركبتُ (التيرسو) لأنّي عاجزٌ عن دفع قيمةِ (البريمو) أو بعدَ سماعِه من يقول : وصلَ الحجيجُ إلى (الكرنتينا) أو أمثالَ هذه الكلمات . يكونُ موفقاً في عنوانِ كتابِه ، ولكن عندَ سماعِنا اسماءَ دولٍ أو بلدان مثل : سويسرا أو انكلترا أو روسيا أو لندرا ، فهذه ألفاظٌ دَخيلةٌ قبلتَها عربيتُنا وإنْ دخلتُها عن طريق الايطالية - وهي في معاجمنا وفي كتبنا وفي صحفنا بالرسمِ المذكور أو شبهِهِ وهي ليست من العامية أبداً .

كما أنّ كلماتٍ مثلَ : بنادورى أو فراوله أو كستنة وأمثالِها . ماهي إلا اسماءٌ لثمار نباتاتٍ معروفةٍ بها دخلتْ لغتَنا واثبتناها في معاجمنا وكتبنا ولاتوصف بالعامية . وكلماتٌ مثلُ : كمبيالة أو بروتستو أو فاتورة وأمثالُها ، انما هيَ مصطلحاتٌ تجاريةٌ وقانونيةٌ ، دخلتْ في بعضِ القوانين ، وفي كتبِ رجال القانون ، ووصفُها بأنّها دخيلةٌ أقربُ للصواب . أما لفظةُ : ليرة فهي اسمُ وَحْدَةِ النّقدِ الرسمي للدولة في سورية وفي غيرها ولا يمكن وصفُها بالعامية مطلقاً .

مما كان يحسن معه بالزميل المحترم أن يُعَنِنَ لكتابِه بمثل : (الكلماتُ الايطاليةُ في لغتِنا المحكية)

وما هذا النقد إلا من قبيلِ الدُّعابةِ مع صديقٍ قديم ، وما كان ليقللَ أبداً من قيمةِ الكتابِ العلمية وما فيه من بحثٍ تاريخيٍّ طريف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٧

مواهب اضافية للزميل

سادتي :

يجدرُ بيَ هنا ، أنْ لا أُخفي عنكم أمراً عن موهبةٍ يتمتع بها زميلنا العتيدُ في جملةِ ما يتمتعُ به من مواهبَ متعددة .

إنّهُ حاضرُ البديهةِ ،، سريعُ الجواب ، دقيقٌ في نقدِه صارمٌ إذا انتقد ، يطربُ للنُكْتةِ البارعةِ إذا سمعَها ، ويهوى اقتناصَها إذا حانتْ لهُ ، هذا مع ميلٍ شديدٍ للدُّعابةِ البريئةِ ، إذا ما كان في مجلسِ أصدقائه .

وليس أدلّ على ميلِه هذا من جملةٍ حشرَها بين قوسين وهو يوشحُ كتاب (الكلماتُ الايطاليةُ في لغتِنا العامية) باهدائها إلى أحدِ أصدقائِه من كبارِ أساتيذِ الطبِّ ، المعروفينَ بحبّهم للفُصحى والمشهورينَ بمحاولةِ التكلمِ بها ، وكنتُ اطلعتُ عليها مصادفةً ، إذ كان الطبيبُ الكبيرُ يعرضُ عليّ كتابَ صديقِهِ يومَ لم أكنْ قد اطلعتُ عليه بعد ، وكانتْ الجملةُ مداعبةً لطيفةً تصفُ المُهدَى إليهِ بأنّه (من أساطينِ اللغةِ العامية) .

٨

انتاج الزميل العلمي

إن الانتاجَ العلميَّ لزميلنا الدكتور مروان متتابعٌ متواصلٌ مترادفٌ ، وإن أنس لا أنس أماليه التدريسية . وذلك في مختلفِ أقسامِ علم الجراحةِ . كما سبق له أنْ شارك في لجنةٍ سوريةٍ مصريةٍ عراقية ، قامت باعداد معجمٍ طُبعَ باسمِ (المعجم الطبيِّ الموحَّد) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكانت اللجنةُ الملمعُ إليها آنفاً نقلتْ المصطلحاتِ الطبيةِ الإنكليزيةِ إلى العربية ، ثم أضافت إلى عملها اللغة الفرنسية مستعينة بأساتذة من الدول العربية التي تُدرّسُ علومَ الطبّ في جامعاتها بالفرنسية ، وقد استنفدَ اعدادُ المعجمِ جهودَ أعضاء اللجنةِ خلالَ خمسَ عشرةَ سنةً ، والمُعجم اليوم قيدَ المراجعةِ والمأمولُ أنْ تضمَّ طبعتُه الرابعةُ خمساً واربعين ألفَ مصطلحٍ[٦٤] .

وإلى جانب هذا الانتاجِ العلميّ المرموقِ ساهمَ الدكتور محمد مروانُ المحاسنيُّ ، بما عُرف عنه من حيويةٍ ونشاط ، في جهودِ المؤسساتِ العلميةِ وأعمالِ المراكزِ الطبيةِ التالية :

١ ـ المجلسِ الأعلى للعلوم السوري بصفةِ خبيرٍ فنيٍّ منذُ تأسيسِه عامَ ستين وتسعمائةٍ وألف ، إلى أنْ غدا عضواً فيه سنة ست وستين وتسعمئة وألف .

٢ ـ المجلسِ الصحيِّ الأعلى في سوريةَ ما بين الأعوام خمسةٍ وسبعين وسبعة وسبعين وتسعمئةٍ والف .

٣ ـ المجلس العلمي للجراحة في المجلس العربي للاختصاصات الطبية منذ عام خمسةٍ وثمانين وتسعمئة والف .

كما اختير في المؤسسات التالية :

٤ ـ زميلاً في مجمعِ الجراحينَ الدوليِّ .

---

(٦٤) طبع المعجم لأول مرة في بغداد سنة ١٩٧٣ وأعيد طبعه بالأوفست في القاهرة سنة ١٩٧٧ ثم صدرت طبعته الثانية بالأوفست مصححة في الموصل سنة ١٩٧٨ ، وصدرت بعدئذ طبعته الثالثة مزيدة ومنقحة في ميدليفانت ـ سويسرا سنة ١٩٨٣ بعناية الدكتور محمد هيثم الخياط عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ومقرر لجنة المصطلحات الطبية العربية في المكتب الاقليمي لمنظمة الصحة العالمية بشرق البحر الابيض المتوسط .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥ ـ ممتحناً خارجياً في الكلية الملكية الايرلندية للجراحة .

٦ ـ ممتحناً خارجياً في كليات الطبّ العربية في كلٍ من عمان والرياض والدمام .

وهو فوق كلِ هذا ، يقومُ الدكتور مروان المحاسني بالمهام العلمية التالية :

٧ ـ رياسة تحرير المجلة الطبية لجامعة الملك عبد العزيز بجُدّة .

٨ ـ رياسة اللجنة العربية للناطقين بالفرنسية ، ورياسة اللجنة الدولية للجامعيين الناطقين بتلك اللغة ، وهو في الوقت نفسه عضوٌ في المجلس العالمي لادارة اتحاد الجامعات في الدول الناطقة بالفرنسية .

٩ ـ كما أنه كان في يوم من الايام نائباً لرئيس الجمعية السورية لمكافحة السرطان .

١٠ ـ كما كان رئيساً لرابطة الدفاع عن حقوق الإنسان .

٩

نشاطه العلمي حالياً

أرى من واجبي أن أسرعَ في الردّ على من يسأل : ما هو النشاطُ العلميّ للمجمعيّ العتيد الذي يمارسُه في هذه الأيام ؟

إنّ الأستاذَ الدكتور مروانَ المحاسني ، يلقى في الوقتِ الحاضرِ دروسيَ علمِ الجراحة في كليةِ طبّ جامعة الملك عبد العزيز باللغة الانكليزية ، ولفائدة طلابها ودعماً لفكرة الواجب القومي الذي يدعو الجامعاتِ العربية إلى تدريس جميع العلوم باللغة العربية[٦٥] ، يقوم

(٦٥) فكرة تعريب التعليم الجامعي كانت مجرد أمنية تدعمها توصيات تصدر عن كثير من المؤتمرات العربية ومجامع اللغة العربية واتحادها ، غير أن مؤتمر وزراء التعليم العالي العرب المنعقد بدمشق سنة ١٩٨٩ أقرّ تنفيذها بعد اعداد العدة لها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدكتور مروان بتحضير كتاب دروس في علم الجراحة باللغة العربية .

كما يشبع الدكتور مروان ، هواياتِه في البحثِ والتنقيبِ والموازنة ، بدراسةٍ معمّقةٍ في كتاب « الدرةُ المضيّة في الدولة الظاهرية » لمحمد بن محمد بن صَصْرَى[٦٦] وهو مؤلفٌ يكادُ يكونُ مجهولاً بين المؤرخين الدمشقيين . وقد أغفلتْ ذكرَه موسوعاتُ التراجمِ التي اطلعنا عليها ، وكُلّنا أملٌ في أنْ يوفقَ زميلُنا البحاثةُ في التعريفِ بالمؤلفِ المذكور ، ورفع ما وقعَ من حيفٍ على مؤرخٍ دمشقيٍ مغمور[٦٧] .

كما أن صديقَنا المجمعيَّ العتيد ، يعملُ على تحقيقِ « كنّاشُ المحاسني[٦٨] فإذا ما انهى تحقيقه يكونُ قد حقق غاياتٍ قيمةً عديدة ،

---

(٦٦) ضبط هذه اللفظة فيه أقوال مختلفة غير أن الزركلي في أعلامه أخذ بالفتح فالسكون معللا ترجيحه المقبول وقد اخذت به المطبوعة التي يدرسها الدكتور المحاسني . ورأي صاحب الاعلام كان ترجمة بعض أعلام أسرة صصري الدمشقية . الاعلام ٢ : ٢٥٥ .

(٦٧) للدكتور صلاح الدين المنجد فضل كبير في البحث والتنقيب عن خبايا التراث وكنوزه وكانت محاضراته في معهد المخطوطات العربية عندما كان مديراً له عن « المؤرخون الدمشقيون » والتعريف بهم وبآثارهم ، قيمة مفيدة وقد طبعها الدكتور المنجد فكانت في جزأين ، وكان موضوع الجزء الثاني منها « المؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني (١٥١٦ ـ ١٩١٨ م) طبعة دار الكتاب الجديد في بيروت سنة ١٩٦٤ غير أنه لم يتضمن ذكراً لمحمد بن محمد بن صصرى ولا أي اشارة لمخطوطة كتابه الوحيدة التي كانت محفوظة تحت رقم (ش . لود ١١٢ ـ مكتبة بودليان ـ اكسفورد) . وقد نشرته مؤخراً جامعة كاليفورنيا ـ بركلي مع ترجمته الى الانكليزيه بتحقيق الدكتور ويليم م . برنيو استاذ الدراسات الشرقية تحت عنوان « أحداث في دمشق ١٣٨٩ ـ ١٣٩٧ »

(A CHRONICLE OF DAMASCUS 1389-1397 EDITED AND ANNOTATED BY WILLIAM M. Brinner) BERKLEY AND LOS ANGELES, 1963

(٦٨) انظر ما سبق أن دوناه عن هذا الكناش في الهامش ذي الرقم (٢٥) نقلا عن الحصني ، وقد وصفه الدكتور صلاح الدين المنجد فقال : خلّف (اسماعيل) كناشا تملكه في سنة ١٠٥٠ هـ وكان فيه منتخبات شعرية فأضاف إليها بخطه حوادث كثيرة وقعت بدمشق .. =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ترتجى منها فوائدُ مبهرةٌ منها :

أولا : الكشفُ عن جهودِ مؤرخٍ دمشقي ، سبق أن سجّل صوراً للمجتمعِ الدمشقي وقعت في أواخرِ القرنِ الحادي عشر وأوائلِ القرنِ الثاني عشر الهجريّ .

ثانيا : احياءُ ما فات التاريخَ تسجيلُه من حوادثَ وقعت في حياةِ المؤلف .

ثالثا : اضافةُ مجدٍ جديدٍ إلى أسرته ، كان خبيئاً ومن حقّها أن تفاخَر به .

سادتي :

أرجو أخيراً أن أكونَ قد وفّيتُ الزميلَ الكريمَ الدكتور مروانَ المحاسنيّ حقّه من التعريف ، وحقكم من التطلع إلى كلّ ما يتصل به وأنا أدعوه إلى القاء خطابه الوعود .

والسلام عليكم ورحمةٌ من الله وبركات .

= وهذا الكناش محفوظ في الخزانة التيمورية (أدب ٦٧٧) ، وقد نشرنا الحوادث التاريخية التي تضمنها ، لأنها مهمة جداً ، باسم صفحات من تاريخ دمشق في العهد العثماني (مجلة معهد المخطوطات المجلد ٦ (١٩٦٠) ص ٧٧ ـ ١٦٠ .

وفي الهامش الملمع إليه أن جامع الكناش اسماعيل هو سبط حسن البوريني المؤرخ الشهير وكان الدكتور المنجد قد اكتشف كتابه المسمى (تراجم الأعيان من ابناء الزمان) وحقق منه جزأين نشرهما مجمع دمشق ضمن مطبوعات سنة (١٩٦٣ ـ ١٩٦٦) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net